

التفسير المختصر - سورة البقرة (٠٢) - الدرس (٢٢١) : تفسير الآية ٢٢١ ، التكذيب القولي
والتكذيب العملي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٣-٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، في سورة البقرة الآية الواحدة والعشرون بعد المئتين وهي قوله تعالى:

**﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنْنَ وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُوهُنَّا نُنْكِحُهُنَّا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُوهُنَّا يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ
يَدْعُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيْنَ أَيَّاتِهِ لِلنَّاسِ لِعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢١)**

أيها الإخوة الكرام ؛ هناك نوعان من التكذيب ؛ نوع قولي... نوع عملي، والتكذيب العملي أخطر من التكذيب القولي !!!

فلو أن مريضاً زار طبيباً، وهذا الطبيب فحصه فحصاً جيداً، وكتب له وصفة، وشكر المريض الطبيب، وأتى على علمه وصافحه وعظمته وبجله، لكنه لم يشرِّ هذا الدواء، فهو إذا لم يعبأ لا بعلمه ولا بتشخيص مرضه ولا بنوع دوائه.

فعدم شراء الدواء تكذيبٌ عملي لعلم هذا الطبيب، رغم أنه أثبتت عليه وصافحته حرارة وشكرته.

فالتكذيب العملي هو شراء الدواء، وهذا يدل على أنه لم تعبأ بعلمه البتة. كلّم يقرأ القرآن الكريم، فإذا قرأت القرآن الكريم وأنهيت القراءة فإنكم تقولون: صدق الله العظيم.

إذا جاء خاطب لابنكم، دينه قوي، لكن دخله المادي وسط، وجاء خاطب آخر، دينه رقيق ودخله كبير، فإذا آثرتم الغني على المؤمن فأنتم لا تصدقون كلام الله عز وجل، ولو قلت صدق الله العظيم، فالله عز وجل لا يرضى للعبد أن يتعامل معه بالشكليات، فأنت تقول: صدق الله العظيم، ويقول الله لك:

**﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُوهُنَّا
وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُوهُنَّا﴾**

فإنسان وسيم الطلة دخله كبير، عنده معمل بيته ملكه بيته أربعين متر مربع، وسيارته على الباب، لكن لا دين له، فلا يصلي، ويسهر يمنة ويسرة بالفنادق، وخطب ابنته رجل مسلم، يقول والد الفتاة: طيب هذا شيء مغر، وكان قد خطبها سابقاً رجل فقير، لكنه مؤمن إيماناً قوياً، فأنت آثرت الغني على الفقير، آثرت رقة الدين على قوة الدين، فإذا قرأت قوله تعالى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُوهُنَّا﴾

فأنت حينما اخترت الغني الفاسق على الفقير المؤمن كذبت هذه الآية لا تكذبها لفظياً قولياً، بل كذبها تكذباً عملياً، والتكذيب العملي أخطر من التكذيب القولي، لأن الذي يكذب بلسانه يُناقض، فتقيم عليه الحجة، أما الذي يكذب بعمله، فلا تستطيع أن تناقضه، تسمع بعضهم يقول: أَعُوذ بالله، ما في مثل القرآن، وعمله يخالف ما في القرآن، ولننتقل إلى مجال آخر، هناك أُناس كثيرون، يذكرون أنهم يصدقون باليوم الآخر، ولكن في الحقيقة لا يعملون ولو عملاً واحداً لليوم الآخر، بلسانهم يكذب عملهم وعملهم يكذب لسانهم.

فيما أيها الإخوة الكرام ؛ القضية قضية الإيمان قضية مصيرية، وربنا عز وجل يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣)

(سورة الأنفال: الآية: ٣٣)

لهذه الآية معنى دقيق، فما دام المسلم يطبق سنة رسول الله في حياته، ما كان الله ليعذبه:

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتَنْتُمْ﴾

(سورة النساء: الآية: ١٤٧)

معنى الآية:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال(٣٣))

طبعاً سننكم مطبقة في بيوتكم، في أعمالهم، في بيعهم وشرائهم، في زواجهم وطلاقهم، في تجارتهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال(٣٣))

فلم يعذبهم وهم على المنهج الصحيح ؟ إنسان يطبق منهج الله، يطبق سنة رسول الله في كل نشاطاته، لماذا العذاب ؟ والآية صريحة:

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا﴾ (١٤٧)

(سورة النساء: الآية: ١٤٧)

وهناك آية أخرى تؤكد هذا المعنى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحَبَّاؤُهُ﴾

(سورة المائدة: الآية ١٨)

وهذا مجرد ادعاء فرد الله عز وجل عليهم قائلاً:

﴿قُلْ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

(سورة المائدة: الآية ١٨)

انظر:

﴿يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

فقيد العذاب:

﴿بِلْ أَنْتُمْ بَشَّرٌ مِّنْ خَلْقَهُ﴾

(سورة المائدة: الآية ١٨)

ومن هنا استنبط الإمام الشافعي أن الله لا يعذب أحبابه من هذه الآية، فلو أن الله أقرهم على أنهم يحبونه لما عذبهم.

﴿قُلْ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بِلْ أَنْتُمْ بَشَّرٌ مِّنْ خَلْقَهُ﴾

(سورة المائدة: الآية ١٨)

إذاً:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبْهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ﴾ (٣٣)

(سورة الأنفال: ٣٣)

المعنى الثاني دقيق، يعني إذا كان المسلم قد زلت قدمه، أخطأ بأأن سبقت منه مخالفة، وندم أشد الندم، واستغفر أشد الاستغفار، وأصلاح وتاب إلى الله، فإذا كان بهذا الوضع، فالله عز وجل لا يعذبه أيضاً.

يعني إذا أب شاهد أن عالمة ابنه أخذ بالرياضيات صفر وامتنع الابن عن الأكل حزناً، ودخل الابن إلى غرفته واعتصم بها، فلما رأى الأب ابنه بالألم والضيق الشديد فهل يلجم الأب إلى ضرب ابنه؟ لا.

فمتى يأتي العذاب؟ إذا لم نطبق منهج الله ولم نعياً بهذه المعصية، وإن طبقنا المنهج فلا تعذب، إن أخطأنا وندمنا فلا تعذب، لكن نتباهي، ولا نطبق ما فيه، ولا نعياً بهذه المعصية، فعندئذ يأتي التأديب.

أخوانا الكرام؛ بالعالم الإسلامي كله، ليس مقبولاً أبداً من إنسان ينكر الآخرة، لكن الذي تراه بعينك، أن أحد لا يعمل للأخر، بل نعمل للدنيا، فهذا التكذيب العملي أبلغ ألف مرة من التكذيب اللساني.

مره ثانية:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنْنَ وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُ﴾

(سورة البقرة: ٢٢١)

هذا كلام خالق الكون، يعني امرأة صالحة مؤمنة، تحفظ لك نسلك، وتعلم أولادك القرآن، وتعلم أولادك سنة النبي العدنان، وترعاك في غيبتك، فإذا نظرت إليها سرتلك، إذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها، وإذا أمرتها أطاعتكم، والله شيء جميل، فهذه هي المؤمنة.

أما المشركة فهي عبء عليك، ولو أنها أعجبتك بادي الأمر، لكنها عبء عليك، فلا تعبأ بك، ولا تتأمر بأمرك، ولا تستقيم على أمر الله عز وجل، ولا تربى لك أولادك كما تريده، دائماً أنت في شك منها، وخلق الكون يقول لك:

﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُ﴾

وقال تعالى:

﴿ وَلَعَبْدُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْكُمْ ﴾

ولم يبق عبيدا في عصرنا، لكن هناك إنسان فقير مؤمن، وإنسان غني لا دين فيه، فكل الأسر الإسلامية يجب أن تراعي مدلولات هذه الآية، فإن لم تفعل، فالمسلم يكذب إذاً كلام الله، وهو لا يشعر، والله يعامل الإنسان لا على كلامه فقط، بل يعامله على فعله كذلك، ولعل العقاب على الفعل أشد وأنكأ.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ (٣٣) ﴾

(سورة الأنفال (٣٣))

فأنت أقرأ القرآن، وما فيه من الأمر والنهي، ثم إذا قلت صدق الله العظيم، وقبلت المصحف ست مرات، من كل وجه مرة، ولم تطبق ما فيه، فهذا لا يقدم ولا يؤخر، ولا ينفعك عند الله أبداً، فالذى يقدم ويؤخر العمل، فحينما تصدق كلام الله، من أن المؤمن أفضل من المشرك، ولو أعجبك المشرك بوسامته وطاعته وماله وبيته ومنطقة بيته ومركبته، فيجب أن تؤثر المؤمن، وإن كان دون مواصفات المشرك، لأن المؤمن إن أحبها أكرمتها، وإن لم يحبها لم يظلمها، بل يحافظ على دينها، ويأخذ بيدها إلى الله ورسوله، والدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة. فيا أيها الإخوة الكرام ؛ حذار من التكذيب العملي، أن تصدق بسانك ويأتي فعلمك ليكذب ما نطق به لسانك، وربنا عز وجل كما يعاملنا على ما نتفوه به فهو كذلك يعاملنا على أفعالنا، والذي يمنعنا من عذاب الله أن تكون عند أمره ونهيه، أو إذا أخطأنا أن نندم أشد الندم، ولا تتتسوا هذه الآية:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

طبعاً أي سنته موجودة في حياتهم، فإذا طبقتم سنة رسول الله، والآية واضحة، فأنتم في بحبوحة العيش، وإن أخطأنا وندمنا واستغفرنا وتلمينا، فنحن في فسحة، ويعمنا الله عز وجل فسحة كي نتوب، أما إذا أخطأنا ولم نتب، أخطأنا ولم نندم، أخطأنا ولم نكتثر، عندئذ يأتي عذاب الله عز وجل قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَّاً (٥٩) ﴾

(سورة مريم: الآية: ٥٩)

وقد لقي المسلمون ذلك الغي وهو تحت سمعكم وبصركم.

إذا أردنا من الله عز وجل أن يحفظنا وأن ينصرنا وأن يرحمنا وأن يعزنا وأن يطمئننا وأن يستخلفنا فعلينا بطاعته، وعلينا بتصديق كتابه، القرآن يقول:

﴿ إِنْ لَمْ تَفْعُلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(سورة البقرة: الآية: ٢٧٩)

فإن لم يعوا الإنسان بهذه الآية، فهو يكذبه، فحذار حذار.

أيها الإخوة الكرام ؛ تعاملوا مع القرآن بصدق وبإخلاص، اقرؤوا الآيات بتدبر، فهي كلام خالق الكون، وإذا كان عندك شك بكلام الله فاسأل أهل العلم، ولا يمكن أن يتبدادر إلى ذهن إنسان ذرة

من شك في أنه ليس كلام الله، لما فيه من إعجاز، فالله خالق الكون، وهذه تعليمات الصانع، فكما أنك حريص على آلة حاسبة فتسأل الشركة الصانعة، وكذلك مركتك تأخذها إلى الوكالة الخاصة لصيانتها، لحرصك عليها، فإذا كنت حريصاً على سيارتك هذا الحرص فلتـ أشدّ حرصاً على نفسك، على مستقبلك، على مصيرك بعد الموت، فهذه الآية جديرة بتدبرها، والعمل بمضمونها، و موضوعها التكذيب العملي... والتـ الكذـ البـ القـولي...
وليس في العالم الإسلامي من يكذب هذا القرآن، هذا أمر غير مقبول إطلاقاً، لكن كثيراً من الناس وقعوا في التـ الكذـ البـ العملي.

والحمد للـ رب العالمين